ليبيا والمتوسط الليبي بوابة انتشار اليهودية والمسيحية في بلاد المغرب القديم 312ق.م – 180م

أ.فتيحة غديري(*)
جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي – الجزائر

الملخص :

تأتي هذه المداخلة لتسلط؛ الضوء على انتشار اليهودية والمسيحية في بلاد المغرب من خلال منطقة برقة، إحدى البوابات البحرية وقنوات التواصل الحضاري بين حوضي البحر المتوسط، والتي لعبت دورا هاما في نقل وتبادل المؤثرات الحضارية بين شعوب المتوسط، وبفضل موانئها التجارية التي أصبحت ملتقى الشعوب القديمة الليبيين ، الإغريق، الفينيقيين والرومان، وهذا ما جعل المنطقة تنفتح على الديانتين اليهودية والمسيحية، اللتين انتشرتا في عموم المنطقة المغاربية.

(*) Email: fatihaghedeiri80@gmail.com

لنخلص في الأخير إلى أن البحر الليبي والإقليم البرقي كانا جسرا حقيقيا للروابط الفكرية والثقافية بين شعوب المتوسط، وليبيا العرين الأمين للثائرين، وبيئة محفزة للتعايش الثقافي والديني في عصورها القديمة.

الكلمات المفتاحية: الإقليم البرقي – اليهودية – المسيحية – المغرب القديم– الرومان.

abstract:

The Subject of the research Concerns Spread of Judaism and Christianity in the Meghreb Ancient, Through the Cyrenaica region, one of the sea gates and passage of civilization communication between the two Mediterranean basins, by means of Its trading ports became the meeting place for the ancient peoples of the Libyans, the Greeks, the Phoenicians and the Romans, This made the region open to the two religions, Judaism and Christianity, which spread throughout the Maghreb, This make the region open to the two religions, Judaism and Christianity, which spread throughout the Maghreb.

Let us conclude in the end that the Libyan Sea and the Telegraph region were a true bridge for intellectual and cultural ties between the peoples of the Mediterranean, and Libya, the safe den for the revolutionaries, and an environment conducive to cultural and religious coexistence in its ancient eras.

key words: the Cyrenaica region- Judaism- Christianity- the Meghreb Ancient- the Romans.

مقدمة :

لم تكن شعوب المنطقة المغاربية في عصورها القديمة بمعزل عن شعوب العالم المتوسطي، بل ارتبط جل تاريخها بهذه الشعوب، وقد ساهم البحر الأبيض المتوسط في ترسيخ هذه العلاقات، سواء في جانبها العدائي ومحاولة الشعوب المختلفة الهيمنة على السواحل المغاربية، وكذا أيضا الجانب السلمي والحضاري المتمثل في نقل وتبادل التيارات الحضارية والثقافية المتنوعة والمختلفة، بما فيها المعتقدات والمؤثرات الدينية من ضفة إلى أخرى خاصة الآلهة والمعتقدات الفينيقية والإغريقية ، كما عُرِف البحر الليبي والساحل البرقي على أنهما أحد معابر الديانات السماوية اليهودية والمسيحية، فاليهودية لا يمكن الحديث عنها في المنطقة إلا في العهد البطلمي، حيث جُلِبُوا من فلسطين كأسرى ومجندين في الحاميات البطلمية إلى الإقليم البرقي لإحكام السيطرة عليه، ومن ثم توطينهم في المنطقة إلى غاية ثورتهم ضد الرومان في 116م، وبذلك يبدأ انتشار اليهود في مختلف أرجاء المغرب القديم، أما بالنسبة للديانة المسيحية فلا يعرف على وجه الدقة البداية الحقيقية لانتشارها في المنطقة المغاربية ، لكن المؤكد أن برقة كانت أحد المنافذ البحرية والبرية التي استقبلت المسيحية للتوغل في المنطقة.

إشكالية المداخلة : كيف ساهم البحر الليبي في استقبال الديانتين اليهودية والمسيحية وإلى أي مدى كان انتشارهما في بلاد المغرب القديم ؟

المناهج المتبعة : للإجابة عن الإشكالية المطروحة تم الاعتماد على المنهج التاريخي السردي؛ لأنه الأنسب لوصف الأحداث التاريخية والتعليق عليها، إلى جانب المنهج التاريخي التحليلي لتعليل الأحداث والحقائق التاريخية .

هدف المداخلة : وقع اختياري على هذا الموضوع؛ لإماطة اللثام على الدور الحضاري الذي لعبه البحر الليبي والساحل البرقي في احتواء مختلف الأعراق البشرية، وما تحمله من

مؤثرات حضارية بما فيها الجانب الديني، وإذا كان مرور المعتقدات الدينية الفينيقية والإغريقية متداولا ومعروفا في الدراسات التاريخية، فإن مرور الديانتين اليهودية والمسيحية وانتشارهما من خلال معبر برقة لا تركز عليه الدراسات، وخاصة التي تتناول انتشار المسيحية.

الدراسات السابقة : في حدود إطلاعي لم أجد دراسة خاصة تعنى بالبحر الليبي كبوابة من بوابات انتشار الديانتين اليهودية والمسيحية، وكل ما هو موجود يركز على الوجود اليهودي في منطقة برقة بصفة عامة أو انتشار المسيحية في عموم البلاد المغاربية القديمة، مثل: مؤلف اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة لصاحبه الطيب محمد حمادي، ورسالة الدكتوراه لعبد الحميد عمران (الديانة المسيحية في المغرب القديم – النشأة والتطور- 180 -430م)، وغيرهما من المراجع.

1- اليهود والديانة اليهودية في بلاد المغرب القديم :

1-1-<u>قبل عصر قورينة :</u>

إن الغموض الذي يجتاح تاريخ اليهود، يجعل إمكانية تحديد تواجدهم في بلاد المغرب أمرا ليس باليسير، وكل ما هو موجود حول فئة المهجرين أو المهاجرين في المراحل الباكرة يغلب عليها الطابع الأسطوري، ولا يتضح تاريخ تواجدهم في المنطقة المغاربية إلا بعملية تهجيرهم من طرف بطليموس ستور، فلا وجود لليهود في بلاد المغرب في الأدب اليهودي وكتابهم المقدس قبل الترجمة السبعينية، باستثناء إشارة وحيدة لإفريقيا في كتاب اليوبيلات أو سفر التكوين الصغير (Des Jubilés IX, 1)، – وهو الذي يشير إلى أن سام قسم إفريقيا على أبنائه، ولم يرد ذكرهم لدى يوسفيوس فلافيوس (Josèphe Flavius) ولا فيلو (Philo) ، وكذلك المصادر الإغريقية والرومانية (سالوست Sallust، قيصر Césear، تاكيت Tacite وديون كاسيوس (Dion Casious) فهي لا تتعرض لهجرات اليهود الأولى إلى بلاد المغرب القديم، لا من قريب

ولا من بعيد، وحتى مقابر يهود الشتات التي عثر عليها بوادي كدرون شمال القدس فهي تعود إلى يهود قورينة، أما التلمود فيشير إلى مناطق من بلاد المغرب القديم خاصة قرطاجة وكهنتها (Lassèr, 2004, p. 3941).

ويفترض بعض المؤرخين أن اليهود أقدم جنس بشري وفد إلى المنطقة المغاربية، وبهذا الشأن يذهب حاييم الزعفراني، أن توافدهم إلى بلاد المغرب منذ عهد الملك داود بعد تغلبه على جالوت، ثم لحاق مؤاب بن سرويا قائد جيشه بأعدائه إلى المنطقة المغاربية، ويدلل على ذلك بما سمعه من أخبار على وجود أحجار وضعها القائد على الطرق كعلامات، وتختلف الروايات في تحديد أماكن العلامات الحجرية من جربة، طنجة، إلى الجنوب والمناطق الصحراوية (الزعفراني، 1987، صفحة 09)، ثم في عهد الملك سليمان هاجر بعض اليهود صوب سواحل بلاد المغرب، وهي الفترة المتزامنة مع التواجد الفينيقي، وأنشؤوا المحطات التجارية، كما تعاملوا مع القرطاجيين في تجارة الذهب(Heller-Goldenberg, 2004, p. 75) ، ويخبر سفر الملوك الثاني عن العلاقة الوطيدة والصداقة التي ربطت ملك صور أحيرام الأول بالملك سليمان، ومن قبله والده داود ، وقد أسفرت هذه العلاقة على تعاون بحري وتجاري في عهد الملك سليمان (سفر الملوك الأول،(9)، لكن من دون آثار مادية معثور عليها تؤيد هذا الرأي، الذي يستند إلى إشارات غامضة في سفر أشعيا حول يهود تريشيش في المغرب (سفر أشعيا،66)، ويذهب هيرشبرغ (Hirschberg) إلى امتزاج العنصر اليهودي والفينيقي في المنطقة بسبب ندرة النقوش التي تبرهن على وجود اليهود منذ هذا التاريخ (Lassèr, 2004, p. 3941)، وفي هذه الحالة ليس من الغريب أن يكون من بين الفينيقيين –منذ أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد- الذين جابوا السواحل المغاربية وصولا إلى جنوب الجزيرة الأيبيرية يهوداً بأعداد أقل من البحارة الفينيقيين في رحلاتهم التجارية، خاصة ولما تميز الفينيقيون به من هيمنة بحرية في هذه الفترة

بعد تراجع البحرية الإغريقية، وما يؤكد هذا الطرح هو ندرة النقوش التي تؤرخ للوجود اليهودي في السواحل المغاربية وكثرة الفينيقية، وهذا ما يفهم منه أن اليهود نشطوا تجاريا تحت راية الفينيقيين في الحوض الغربي للمتوسط.

أما الرأي القائل بهجرة اليهود على إثر تخريب مدينة أورشليم القدس الحالية في 587 ق.م على يد نبوخذ نصر ، فقد تشتت اليهود في أصقاع العالم القديم، ومنهم من توجه إلى طلميثة، ومنهم من أكمل مسيره نحو جربة ، إلا أن ما عثر عليه في طلميثة من عملة يهودية ذات الربع شيكل من النوع المكابي الذي يعود إلى مابين 139–135 ق.م (أبورية، 2005، صفحة 29)، في حين البقايا الأثرية لأقدم المقابر وقوائم الحاخامات تؤرخ لفترة العصور الوسطى في القرن الثامن للميلاد (Lassèr, 2004, p. 3942) .

إن الدلائل والمؤشرات التي اعتمد عليها المؤرخين لتأريخ الوجود اليهودي في بلاد المغرب القديم، ما هي إلا مؤشرات بسيطة وفرضيات لهجرات جماعات وأفراد، لا تعززها الأدلة المادية والكتابات الأدبية، إذ لم تشكل هذه الهجرات كيانا اجتماعيا يُمَكِن من الحديث عن وجود جالية يهودية ارتبطت بمحيطها المغاربي، وتركت أثرها الحضاري في المنطقة إلا أواخر القرن الرابع قبل الميلاد.

1-2 – يهود قورينة في العصر البطلمي :

لم يتوطن اليهود في قورينة إلا في فترة بطليموس الأول، حيث لم يشر هيرودت إلى تواجدهم في المنطقة الشرقية في برقة وما جاورها في عصره، كما يخبر يوسفيوس فلافيوس أنه في عهد بطليموس الأول المخلص تم الاستيلاء على مدينة أورشليم القدس حاليا، وسبي اليهود وتهجيرهم إلى مصر، حيث وزعهم في حاميات عسكرية، كما أرسلهم إلى مدينة قورينة لإخضاعها، ومنحهم كافة الحقوق مثل الإغريق والمقدونيين، الأمر الذي شجع يهود فلسطين

على الهجرة نحو مصر، أما يهود قورينة فلم يتحصلوا على حق المواطنة مثلما هو معمول به في مصر، ولم يشر يوسفيوس إلى أي متاعب تعرض لها اليهود في مصر، باستثناء حادث الشقاق بين اليهود والسامريين (طائفة يهودية صغيرة)، وفي عهد ابنه بطليموس فيلاديلفوس (Ptolémée Philadelfe) تم تحريرهم، وتراوح عددهم 120 ألف يهودي (Josépher, 1900,Liv II, II et Liv XII, 1,2).ويضيف كوهن أبراهام على ما جاء لدى يوسفيوس فلافيوس أن استقرار اليهود لم يكن في قورينة فقط، بل انتشروا في عموم بلاد المغرب، ولو أن أكبر تجمعاتهم كانت هناك (Abraham, 1867, pp. 7-8).

ويفهم مما ورد لدى يوسفيوس رأيين، أحدها يقول بتواجد البعثات اليهودية في برقة قبل إخضاعها من طرف بطليموس (عبدالعليم، 1966، صفحة 171)، والرأي الثاني يزعم حدوث إضطرابات سياسية في الإقليم البرقي منذ 325 ق.م، يكون بطليموس الأول في 313 ق.م قام بإرسال الحاميات اليهودية إلى قورينة؛ لصد محاولات الانفصال، ثم المحاولة الثانية محاولة أوفيلاس (Ophellas) في 311 ق.م التي جعلت من بطليموس يفكر في زرع قوات موالية له في قورينة، حتى يضمن ولاء الإقليم وعدم محاولة التمرد والانفصال (محمدحمادي، 1993، الصفحات 63-64) .

يمكن قبول الرأي القائل بأن التواجد اليهودي كان في شكل حاميات عسكرية استعان بها بطليموس الأول لإخضاع الإقليم البرقي، لكن ومع سياسة البطالمة المعروفة بمنح الامتيازات إلى الأجناس الأجنبية ومن بينهم اليهود، إضافة إلى ذلك تحرير أسرى الحرب منهم من طرف ابنه بطليموس الثاني، يكون يهود حاميات برقة استفادوا من هذه المنحة ، وهو أحد الأسباب التي جعلتهم يتوطنون ويشتغلون في مهن وأنشطة حققت لهم الثروات، وشجعت مجموعات يهودية

أخرى للمجيء إلى قورينة من مصر أو حتى فلسطين، التي ظل يهودها يعيشون ضغوطات سياسية مختلفة (أبورية، 2005، صفحة 65).

أما عن انتشارهم في العصر الإغريقي، فميا جادت به المصادر المادية في طلميثة حيث عثرت البعثة الأثرية للمعهد الشرقي بشيكاغو عن عملة برونزية ذات الربع شيكل تعود إلى اصدار يهودا الموكابي مابين 139 و135 ق.م (عبدالعليم، 1966، صفحة 172)،وعثر على شاهد قبر كتب عليه بالإغريقية لمتوفية يهودية تدعى سارة (Sara) ابنة نيكاندرس (Nicondres) (محمدحمادي، 1993، صفحة 68)،كما تخبر بقايا المقابر في أرسنوى (توكرة) عن التواجد اليهودي والتي تؤرخ للفترة الرومانية على وجود قبور لمسنين، يعود تواجدهم إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، ومؤرخة بالتقويم المصري، مما لا يدع مجالا للشك على استمرارية اليهود على التقاليد المصرية البطلمية في الفترة المتأخرة قبيل الإحتلال الروماني (عبدالعليم، 1966، صفحة 172)، كما عثر على أسماء يهودية وأسماء مزيج بين اليهودية وأعراق أخرى مثل النقش رقم (16) للفتاة تدعى مارتا (Martha) ابنة جوهانس (Johannas)وهو اسم يهودي محض ، أما النقش رقم (12) فهو لإمرة في الخمسين من عمرها تدعى تيدورا (Theodora) ابنة جملوس (Gemelos)، وهو اسم يهودي لاتيني (محمدحمادي، 1993، الصفحات 67-68) ، وفي برينيكي بنغازي شواهد قبور تدل اليوم على وجود جالية يهودية قوية في المنطقة في أوائل العهد الروماني، ولابد أن جذورها تعود إلى الفترة البطلمية (عبدالعليم، 1966، الصفحات 172-173) كما تم العثور على شواهد قبور لأسماء يهودية كتبت باللغة العبرية مثل قبر (Hassan) بن الربي اسحاق (Issac) (محمدحمادي، 1993، صفحة 68).

وتظهر الأسماء اليهودية في قورينة مثل العازار، وايسوس (عيسى)، وفي توكرة يظهر اسم اريمياس مُحَوَر قليلا قد يعني احيرام أو ارميا، بالإضافة إلى يهودا، ايسوس ومارتا، كما عرفت المنطقة امتزاج الأسماء اليهودية في الكثير من الحالات بأسماء أعراق أخرى ، ففي برنيكى امتزجت الأسماء اليهودية بألهة وثنية إغريقية، مصرية وليبية مثل ايسيدوروس، ايسيدورا، هيراكليوس وأمونيوس (نسبة إلى الإله المصري آمون والذي يرجح أن أصوله ليبية) (محمدحمادي، 1993، صفحة 69).

وقد حمت قورينة حقوق قاطنيها من اليهود الدينية والمدنية طيلة العصر البطلمي، واستمر الوضع في العهد الروماني، ومما يدعم هذا الرأي قول يوسفيوس أن شكوى أرسلها يهود قورينة إلى ماركوس أغريبا (Marcus Agripa) ملك يهودا، فحواها أن اليهود منعوا من حقوقهم الدينية والمدنية، وكان الرد على مجلس سينات قورينة بحرية اليهود في تأدية القرابين إلى معبد القدس، واحترام طقوسهم الدينية، كعدم امتثالهم أمام المحاكم يوم السبت، وغيرها من الطقوس (Joséphus, 1702, Liv XVI, X).

لابد أن الجالية اليهودية عثرت على ضالتها في هذه المدن، من حيث ملائمتها لممارسة النشاط الديني، حيث وجدوا التسامح الديني، والتنوع الثقافي والعرقي الذي تميزت به المنطقة، ودليل ذلك على تواجد الجاليات اليهودية في أغلب المدن البرقية: طلميثة، توكرة، برينيكى، وقورينة وغيرها ، بالإضافة إلى الحرية الدينية التي تمتعوا بها طيلة تواجدهم في المنطقة وما يعزز هذا الرأي الأسماء والوظائف الكهنوتية اليهودية. كما يمكن الحديث عن امتزاج ديني وثقافي حدث بين اليهود وسكان البلاد، يتضح في تركيب الأسماء آمونيوس وهو اسم مضاف اليه اسم الإله آمون المصري ذو الأصول الليبية، وهيراكليوس إضافة إلى الإلهة هيرا اليونانية.

3-1- يهود قورينة والسلطة الرومانية :

ظلت الحالة المدنية والدينية لليهود في قورينة تتمتع بالسلام والحرية في فترة الاحتلال الروماني حتى سنة 66م، حيث قلب الرومان ظهر المجن لليهود، وكان السبب أعمال شغب وتمرد في فلسطين بين الطبقات المتنفذة الموالية للسلطة الرومانية والطبقة الفقيرة، لتتحول أعمال الشغب في المجتمع الأهلي في فلسطين إلى حرب بين اليهود والرومان، وتصل شرارة هذه الحرب إلى قورينة بوصول اليهود الفارين من هناك، واتحد الفارون مع الطبقة الفقيرة من يهود قورينة تحت زعامة يونثان (Jonathan)، الذي اتهم يهود قورينة الأغنياء بتحريضه على السلطة الرومانية ومن بينهم المؤرخ يوسفيوس، حيث قام تيتوس (Titus) سنة 70م بالقضاء على أعمال الشغب، وقطع دابر المتمردين في قورينة (Joséphus F. , 1900, Liv VII, XI) كما فرضت عليهم ضريبة الرأس، التي كانت تدفع لمعبد أورشليم، والتي أصبحت تدفع لمعبد جوبيتر في روما على كل من بلغ الثالثة بعد أن كانت على البالغ عشرين سنة، حسبما ورد لدى ديون كاسيوس (Dion Cassius) (Casius, 1867, Liv LXVI, 7).

بعد حوالي الأربعة عقود من الزمن يكرر اليهود ثوراتهم أو تمردهم ضد السلطة الرومانية، لكن هذه المرة كان السبب صراع وتنافس سياسي بين أعيان طائفة اليهود والأرستقراطية الإغريقية في قورينة في بلاط الإمبراطورية الرومانية، حيث جاء في وثائق أعمال شهداء الإسكندرية أن بذور الصراع بين اليهود والإغريق بدأت منذ 113م، وصُعِد الموقف في العام 115 م في مجلس الإمبراطور الذي ضم وفدين أحدهما من اليهود والثاني من الإغريق، ويبدو أن الإمبراطور انحاز إلى الإغريق، ومن هنا اشتعل فتيل الفتنة بين الشعبين اللذين عاشا دهورا في انسجام (محمدحمادي، 1993، صفحة 109).

وبخصوص الثورة يقول أوسيبيوس (Eusèbe de Césarie) عن تاريخ اندلاعها في السنة الثامنة عشر من حكم تراجان (Trajan) سنة 115م كانت عبارة عن مناوشات بين اليهود والإغريق في قورينة، ما فتأت أن تطورت في العام الموالي لتصبح ثورة عمت قورينة ومصر، حيث كانت كفة اليهود الأرجح، لكن لجوء الإغريق إلى مصر قوض كفة اليهود، وأرسلت روما قواتها على رأسها القائد ماسيوس توربو (Macius Turbo)، الذي قتل عدداً كبيراً من يهود قورينة ومصر(Eusébe, 1913, Liv IV, II) .

أما ديون كاسيوس فيقول أنه في فترة حكم تراجان ثار اليهود في قورينة، ووضعوا على رأسهم أندرياس (Andérias)، وذبحوا الرومان والإغريق على حد سواء، وأكلوا لحومهم، ولبسوا جلودهم وأجبروهم على القتال، وقتلوا منهم 220 ألف (Casius, Histoire Romaine, 1867, Liv LXVIII,32.).

اختلفت المصادر التاريخية في توصيف الأحداث كل حسب إيديولوجيته الفكرية، فأصحاب التاريخ الكنسي يرون اليهود أصحاب حق وشهداء ، في حين يراهم ديون كاسيوس الروماني المتأغرق متوحشين، ثاروا ضد الأمبراطورية الرومانية وإغريق برقة الذي استضافوهم قرون عدة. لكن من المؤكد أن الثورة الأولى ثورة ضد الفقر والتهميش الذي تعرضت له كل شعوب العالم القديم تحت وطأة الاحتلال الروماني، الذي استغل الشعوب من أجل رفاه الشعب الروماني، لكن الثورة الثانية كانت صراع نفوذ بين الأرستقراطيات اليهودية والإغريقية، تضاربت فيه المصالح الشخصية، لكنه جرف في طريقه كل الطبقات خاصة من اليهود الذين يشكلون أقلية أمام إغريق برقة.

رغم ذلك لا يمكن الاستهانة بما تعرضت له المصادر الأدبية حول الآثار الناجمة عن ثورة اليهود في 115 م من دمار في الإقليم البرقي، الذي أخذ تعميره من جديد وقتا كبيرا، كما تم

جلب سكاناً جدداً إلى الإقليم بالإضافة إلى توطين الجنود القدامى، حيث جاء الخراب على المزارع والبساتين في الأرياف، وكذلك المدن، وتشهد النقوش في برينيكى (نقش رقم 07) في حفريات سيدي خريبش على إصلاحات وترميمات أدريان (Hadrien) -خليفة تراجان – للدمار الذي خلفته ثورة اليهود ، وقد كان نصيب قورينة الأكثر من التخريب على مستوى المزارع في الأرياف، كما خربت المعابد الإغريقية مثل معبد زيوس، وإزيس وكذلك خربت المباني العامة مثل الحمامات والمسارح الأجورا، وغيرها من المرافق (عبدالعليم، 1966، صفحة 202).

ويرى المؤرخ الليبي الطيب محمد حمادي أن ارتباط المجموعات اليهودية في قورينة كان وثيقا بالمجموعات اليهودية في مختلف مناطق العالم القديم في الجوار، مع يهود مصر، أو يهود فلسطين مركز اليهودية، وحتى مع يهود بلاد الرافدين، وقبرص، ويظهر ذلك من خلال تكاتف يهود العالم القديم في ثورتي (66–70م) وثورة 115م، كما يتضح أكثر عدم انتمائهم للمجتمعات التي يقيمون فيها كالإغريق في برقة ومصر أو حتى السكان الأصليين فلم تندمج تماما مع الأجناس الأخرى وظلت علاقتها مصلحية بحتة، يطفو العداء إلى السطح كلما تنافرت المصلحة اليهودية مع مصالح الآخر، الذي يتشاركون معه مجال النفوذ (محمدحمادي، 1993، صفحة 97).

1–4 – انتشار اليهودية في عموم بلاد المغرب القديم:

منذ ثورة 117م تغير وضع اليهود في برقة –والعالم القديم عموما– بعدما كانوا من المقربين إلى الإدارة الرومانية ، وقد كشف القديس جيروم عن مآل يهود برقة عند تشتتهم في أرجاء العالم القديم، حيث قال : "يطلق عليهم اسم البرقيون نسبة إلى إقليم برقة...، وهم ينتشرون من موريطانيا إلى الهند"(Jerome, 1838, Traite sur Les Juifs, CXXIX,4) .

<u>1-4-1 – اليهود في المدن</u>: تبين الآثار والنقوش التي أحصاها بول مونصو (Paul Monsseaux) سنة 1904 بشكل أساسي تواجدهم في الموانئ، خاصة في قرطاجة وطرابلس وفي المدن الداخلية الكبرى في شمتو (Simitthus)، كيرتا (Cirta)، سطيف (Setifis)، أوزيا (سور الغزلان)(Auzia)، طنجين (Tinjitane)، ليكسوس (Lixus) وفولبوليس (Volubilis)، وتكشف الآثار عن ما يقرب من ستين اسم لأفراد من اليهود خمسون منهم بأسماء لاتينية، وعشرة أسماء يهودية معروفة في التلمود، بالإضافة إلى أربع أسماء إغريقية وثنية، كما يلاحظ ارتفاع التسميات الرومانية الثلاثية، ولا يعرف أصل هذه التجمعات اليهودية شرقي أو غير ذلك، وعلى كل فإنها ترومنت بشكل تدريجي حيث يتكلم يهود قرطاجة اللاتينية، كما يتكلم يهود برقة الإغريقية، لكنها فقدت تدريجيا وحلت محلها اللاتينية، بالإضافة إلى العبرية، أما الآرامية فلا وجود لتسجيلات تدل على وجودها (Lassèr، 2004، صفحة 3943).

وما يستوحى من وجود معابد يهودية من خلال نصوص النقوش المتبقية من معابد في أوتيكا (Autique)، سطيف، قيصرية وأوليلي (فولبوليس) ، وفي شمال شرق قرطاجة على شاطئ هميلكا (Hamilcar) ، الذي يعود إلى نهاية القرن الرابع، وبداية القرن الخامس ميلادي (Lassèr، 2004، صفحة 3945)، أما في معبد حمام الأنف أراد المنشئ أن يعرف بقصة خلق العالم، حيث لا تظهر أي سمات خاصة باليهودية، وكل ما هو موجود شائع في كل بلاد العالم القديم، ويرى مارسال سيمون (Marcel Simon) أنه تم تكييف اليهودية وفق الثقافة الإغريقية ثم اللاتينية، التي هيمنت على العالم المتوسطي (Simon, 1946, pp. 5-6). وما تبقى من آثار اليهود في التاريخ القديم في المنطق الحضرية معالم جنائزية، وهي مقابر مبنية (Hypogée) تم اكتشافها في أويا وتقمرت بتونس الحالية، وفي الأخيرة تضم حوالي 3400 يهودي (Lassèr، 2004، صفحة 3946).

أما بالنسبة للمؤثرات بين اليهود وسكان الحضر فهي متبادلة ولو أنها محدودة ، فبداية لا توجد دلائل على تأثر اليهود بالأسماء الوثنية غرب قورينة، بل الحالة العكسية هي المتوفرة ، وكما جلب الكنيس اليهودي الوثنيين الذي يطلق عليهم إسم (Ger) بمعنى الضيف، أما الرومان فيطلقون على الوثني الذي اعتنق اليهودية اسم المرتد (Metumes) ، ويقول هوشايا R.Hoshaya المعاصر لسفيروس (193–211 م) أنه بالنسبة لليبيين لم يعد أحبار اليهود يراعون ما جاء في سفر التثنية (العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح 8) ، الذي لا يفتح المجمع اليهودي إلا للجيل الثالث من المصريين المتحولين إلى اليهودية، الأمر الذي جعل الإمبراطور سيفروس يمنع الدعوى إلى اليهودية والتبشير بالمسيحية (SPARTIANUS, 1844, Vie de Septime Sévère,XVII)، وبسبب سرعة ونجاح انتشار المسيحية في أوساط المغاربة، يصبح سبب خرق سفر التثنية من طرف حاخامات اليهود التنافس والصراع ضد المسيحية؛ للاستحواذ على أكبر عدد من المغاربة الذين سيقفون معهم ضد السلطة الرومانية.

ويرى مارسال سيمون أن أكبر تأثير في بلاد المغرب يتجلى بوضوح في السحر في المجتمع المغاربي، ويتجلى بوضوح في ألواح الإعدام في قرطاجة وحضرموت، حيث يتم التضرع بالشياطين ذات الأصل التوراتي، رغم أن أبوليوس (Apulus) لم يشر في روايته إلى السحر التوراتي، ويستدلان بالكاهنة ملكة الأوراس في أواخر العصور القديمة، حيث كانت تفقه الكهانة والعرافة والتنبؤ بالمستقبل (Simon, Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne, 1946, p. 6)، إلا أن المعروف تاريخيا أنّ الكهانة والعرافة والسحر ذات الأصول الشرقية، عرفتها القبائل الليبية القديمة قبل انتشار اليهود في بلاد المغرب بعد ثورة 115م، فأم الملك النوميدي ماسينيسا كانت عرافة تتنبأ بالمستقبل، ربما بمجيء الفينيقيين إلى السواحل الليبية تأثر

الليبيون بهم، وعليه يمكن قبول اقتباس المغاربة بعض الممارسات السحرية من اليهود، أما عن السحر كمنظومة كاملة فقد عرفها المغاربة القدامى قبل الانتشار والتأثير اليهودي في المنطقة.

1-4-2- اليهود في الجبال والأرياف:

يذكر بن خلدون اعتناق قبائل مغاربية قديمة اليهودية، مثل: قبائل جبل نفوسة، وقبيلة جرواة وزعيمتها الكاهنة عند الفتح الإسلامي في الأوراس الجزائري، ، فندلاوا، ميديونة، بهلولة، غياثة، وبنو بازار في المغرب الأقصى، إلا أنه يرجع السبب في دخولهم لليهودية قوة ملوك الشام وقربهم من البلاد المغاربية في أواخر الألف الثانية وبداية الأولى قبل الميلاد (ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم، 2000، صفحة 140)، وهذا من الآراء الأسطورية للتواجد اليهودي في البلاد الليبية القديمة دون الرجوع لحجة أثرية مؤيدة،أما الأكثر ملائمة تاريخية هو شتاتهم بعد ثورتهم ضد الرومان في 115م، ومنهم من وصل إلى الجنوب الغربي عابرين نهر آير وحوض النيجر الأوسط وصولا إلى السينغال، وإقليم فوتا غرب إفريقيا ، كما عبرت طائفة أخرى منهم جنوب المغرب الأقصى إلى موريطانيا الحاليين، كما وصلوا إلى غرب السودان الحالي، وتعتبر قبيلة فولاني ذات العرق اليهودي التي امتزجت مع يهود برقة عند فرارهم إلى هناك (عبدالعليم، 1966، صفحة 208).

ولا يقبل رينيه باصي (Renée Basset) إحصائية بن خلدون التي تقول باعتناق القبائل المذكورة اليهودية ، بل يفضل قبول بعض العائلات من كل قبيلة وليس كل القبائل (باصي، 2012، صفحة 73) ،ويستدل بقول بن خلدون في موضع آخر عندما يذكر بني بوغش من وازغة، الذين فيهم من هو على المجوسية (الوثنية)، ويهود ونصارى (ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر..، 2004، صفحة 18)، وبالتالي فإن قبول تهويد القبائل المذكورة سلفا رأي غير مقبول.

يضيف الطيب محمد حمادي أن انتشار اليهودية في الأوساط الليبية والمغاربية القديمة لم يأت من تعرف السكان المحليين عن هذه الديانة وما تحويه من قيم إنسانية جاذبة، بل كنوع من التحالف مع السكان المحليين في مقاومة الإحتلال الروماني والانتقام منه بعد أن قوض نفوذهم في إقليم برقة (محمدحمادي، 1993، صفحة 122).

وهذا ما يدعو للقول أنه نتيجة لغموض الديانة اليهودية وخصوصية تعاليمها، وتقوقع الجماعات اليهودية على نفسها، ظلت الديانة اليهودية غامضة وبعيدة عن إحداث التأثير في سكان بلاد المغرب عموما، ولم تعرف الانتشار في المنطقة إلا بعد أن فقد اليهود الدعم الإغريقي والروماني السياسي والاقتصادي في برقة وفي الجوار المصري، فاتخذوا من الجهة الغربية لليبيا سبيلا، ورغم تواجدهم في المدن إلا أنهم صدموا بتيار الرومنة الذي كان أقوى من تيار التهويد الذي رومن اليهود، ويتضح ذلك من خلال اللغة التي يتحدثونها، والأسماء التي يتسمون بها،أما في الأرياف والجبال معقل المقاومة المحلية ضد الاحتلال الروماني فقد خلقت فئة محلية موالية لهم ، عملوا على إحداث الامتزاج مع بعض القبائل وتهويد القبائل التي وجدوا لديها القابلية لذلك.

2 – ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم :

لا يعرف على وجه الدقة تاريخ دخول المسيحية إلى بلاد المغرب القديم، وكل ما هو معروف يعود إلى بداية أولى الاضطهادات في المنطقة المغاربية تحديدا في منطقة سكيلي، (Scilli)وهي مدينة قريبة من قرطاجة على الأرجح حوالي العام 180م (عمران، 2010-2011، صفحة 73)، لكن ما يذهب اليه المؤرخون أن المسيحية كانت موجودة قبل هذا التاريخ وتذهب بعض الآراء إلى إرجاعها إلى تاريخ تأسيس كنيسة روما كان القديس بطرس يبشر بالمسيحية في قرطاجة ، وبعد أن أجريت القرعة بين الرسل كانت بلاد المغرب في يد سيمون أو سمعان

المتعصب، وحسب س. لونسال (S. Lancel) لا يمكن قبول هذا الرأي نظرا للتنافس والصراع الباكر الذي نشأ بين كنيسة روما وكنيسة قرطاجة (Lancel, 1994, p. 1942)، وعلى الرغم من تصريح ترتليان فإن انتشارها بين المغاربة الموريين في المدن والأرياف كان واسعا، وهذا ما يستدعي وقتا لانتشارها قبل اضطهاد 180م(Tertullien, 1914, XXXVII, 4) .

إذا كان الاتفاق حول تاريخ دخول المسيحية إلى بلاد المغرب هو تاريخ غامض ، فإن الاختلاف حول المنافذ والشخصيات التي أدخلت المسيحية إلى المنطقة واضح بين المفكرين، فبالإضافة إلى ما سلف ذكره، تذهب الآراء أن القرطاجيين تحولوا إلى المسيحية على يد إمرأة سامرية تدعى فوتينا Sainte Foutine)، كما جمع عبد الحميد عمران بعض الآراء في أطروحته حول نشأة المسيحية وتطورها في المنطقة المغاربية القديمة حيث أشار المؤرخ البيزنطي نيسيفور كاليكست (Nicephore Callixte) إلى أن من بشر بالمسيحية في مصر وقورينة وطرابلس هو مرقس (Marcus)، أما مراسلة غريغوار الكبير (Gregoire Le Grand) التي يجيب فيها عن التماس رسمي موجه إلى المحكمة من طرف أساقفة نوميديا يطالبون فيه بممارسة طقوسهم التي تعود إلى أوائل المبشرين وعلى رأسهم القديس بيتر (Peter)، في حين يخبر وهب بن منبه أن من أرسل إلى بلاد المغرب شخص يدعى فيليب وهو بذلك يتفق إلى حد ما مع رواية ابن خلدون، التي يشير فيها إلى الأوائل الذين أرسلوا إلى المنطقة من الحواريين، أرسل إلى إفريقيا (البروقنصلية) شخصا يدعى فيلبس، وإلى برقة والبربر شخص يدعى شمعون الكنعاني (عمران، 2010-2011، الصفحات 74-75).

على الرغم من أن القديس أوغسطين في القرن الرابع الميلادي يقر بتأخر المبشرين بالمسيحية في بلاد المغرب عن باقي مناطق العالم القديم، والحواريون المذكورون آنفا لم يشيروا إلى المنطقة ولم يصلوا إليها (غريدة، 2020، صفحة 196). كما يرى لونسال الآراء السابقة

الذكر عبارة عن مبالغة حول دخول المسيحية إلى بلاد المغرب القديم، وعلى كل فإن دخولها سابق لـ180م، وما حادثة الاضطهاد ما هي إلا رد فعل السلطة الرومانية عن وضع تفاقم ووجب ردع المتسببين فيه (Lancel, 1994, pp. 1943-1944).

1-2 – قورينة إحدى بوابات ولوج المسيحية:

وإذا كانت المنافذ أو بوابات ولوج المسيحية إلى المنطقة المغاربية متعددة، فإن منفذ التجارة والموانئ الساحلية للبلاد في المدن الساحلية كقورينة، أويا وقرطاجة التي تأتيها السفن التجارية من العالم القديم، الساحل السوري وبلاد الإغريق بالإضافة، وكذا أيضا السفن الرومانية، هذه التشكيلة الحضارية خلقت فسيفساء ثقافية ودينية على الساحل المغاربي، ومن الطبيعي حدوث تمازج ديني وحضاري بين قاطني المنطقة والقادمين إليها، ومن أنصار هذا الرأي جون بول ميناج (J. P. Mesnage) وشارل اندريه جوليان (Ch. A. Julien) رغم غياب الأدلة المادية (عولمي، 2015-2016، صفحة 233)، في حين يرى فريق آخر أن دخول المسيحية إلى البلاد المغاربية كان بواسطة بوابة الشرق ودخول أشخاص من هناك، ويستدلون على ذلك بوجود عادات آسيوية شاخصة في المعتقدات الإفريقية كظاهرة إعادة تعميد الهراطقة، وأحد الذين تبنوا هذا الرأي بول مونصو (Paul Monceaux) ، ويرى لونسال أن العلاقات البحرية مع الشرق المسيحي لعبت دورا كبيرا في انتقال الديانة المسيحية، بالإضافة إلى استخدام اللغة الإغريقية التي ساهمت في ربط العلاقات خاصة مع اغريق قورينة، كما استفاد بشكل كبير من البيع اليهودية، حيث سهلت المعابد اليهودية تأسيس المسيحية قبل أن يضطرم العداء بينهما (Lancel, 1994, pp. 1942-1943)، ورأي ثالث يرى أن عاصمة الإمبراطورية هي بوابة انتقال المسيحية إلى المدن الكبرى في المنطقة المغاربية مثل قرطاجة، حضرموت، هيبون ريجيوس، أويا وقورينة، ويذكر يوسيبيوس (Eusèbe) أن بطرس هو الرسول إلى روما في عهد

كلوديوس (Claudius)الذي مارس اضطهاداته ضد المسيحيين في الشرق (يوسابيوس، 1999، صفحة 72)، لكن هناك آراء أخرى تدعو إلى أن أول الرسل كان بولس إلى روما في عهد نيرون (Néron) حيث كان الحريق الكبير لروما في 64م، واتهم فيه العناصر المسيحية، ونكل بهم شر تنكيلا، ومات الرسولان بطرس وبولس في أعمال الاضطهاد التي شنها الإمبراطور، ورغم ذلك تمكن الرسولان من تحقيق نتائج تبشيرية وإنشاء كنيسة تداول على تسييرها عدد من القساوسة بعد الرسولين بولس وبطرس، كما تمكنت من الاتصال بمختلف بلاد العالم المعمور باعتبارها في مركز وعاصمة الإمبراطورية بما في ذلك بلاد المغرب القديم، وتأسست الكنيسة الكبرى في قرطاجة باستغلال البيع اليهودية، وامتدت نحو حضرموت، أويا وقورينة وغيرها من المدن الكبرى (يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، 1999، الصفحات 78-79).

أما بالنسبة للبوابة التي اختارها الرسل، فكل الدلائل والفرضيات تؤكد على اختيار قورينة إحدى البوابات المهمة في انتشار المسيحية في المنطقة قبل حتى الولوج إلى قرطاجة، حيث يذكر نيسفور كاليكستي أن القديس مرقس حمل على عاتقه مهمة التبشير في مصر وقورينة، حيث طال مكوثه ببرقة كما ينسب له أحد الأودية (وادي مرقس) في المنطقة ، قد يكون سبب طول مدة الإقامة الفرار من بطش السلطة الرومانية التي لاحقت المسيحيين في أورشليم (عمران، 2010-2011، صفحة 80).

ويبرز اسم القديس مرقس كأول من ابتنى كنيسة في الإقليم البرقي، وهو صاحب أحد أصحاب الأناجيل الأربعة التي تعتمدها الكنيسة، أما اللغة التي كتب بها فهي اللغة اليونانية، وهذا ما يجعل بعض المؤرخين يردون أصوله إلى قورينة، ويقال أنه زمن المسيح كانت عائلته تقطن أورشليم بعد هجرتها إلى هناك بسبب غارات القبائل الليبية على إقليم المدن الخمس، في حين لو كان من أورشليم لكان كتب إنجيله باللغة العبرية ولكنه أقام بها لفترة من الزمن وقد

تعرف على المسيحية على يد بطرس واصطحبه إلى روما ثم إنطاكية في 46م (صالح، 2010، الصفحات 76-77). وحسب سفر أعمال الرسل إن في يوم عيد الفصح التقى القديس مرقس ومعلمه بطرس بحوالي ثلاثة آلاف من اليهود من بينهم يهود برقة، الذين دعاهم إلى الإيمان بالمسيحية، ثم تم تعميدهم ليعودوا إلى ديارهم وهم على الإيمان (أعمال الرسل، الإصحاح2، 10-43) .

ويعتقد أن مرقس أقام في برقة مدة ما يقارب الواحد والعشرين سنة ما بين 40 و 61م، ثم رحل عنها نحو الإسكندرية، حيث أنشأ عدة كنائس، وظل هناك مشرفا عليها ليعود إلى الإقليم البرقي بعد سنتين، ويبني أول كنيسة فيه، وعند عودته إلى الإسكندرية تآمر عليه الوثنيون، وقتلوه في 63م (أبوزهرة، د. ت. ن، الصفحات 55-56)

وخلال الفترة الأولى وعند صلب المسيح يتردد اسم سمعان القيرواني، الذي حمل الصليب بدلا منه، حيث تتحدث الأناجيل عن رجل يدعى سمعان حمل صليب المسيح، وحيث جرت العادة لدى الرومان أن المصلوب هو من يحمل صليبه، ولأن المسيح أثخن بالجراح النفسية والبدنية التي أرهقت جسده وأوهنت قواه ، استدعي هذا سمعان القيرواني لحمل الصليب حسب ما ورد لدى مرقس، وحيث كان يتم الصلب خارج المدن وعلى قارعة الطريق وفي الساحات العامة، كان سمعان مارا من هناك بعد عمله في الحقل فاستدعي لحمل الصليب (صموئيل، د. س ، صفحة 25).

ورد سم سمعان القورواني في أعمال الرسل :

" وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم ... ونواحي ليبيا التي نحو القيروان" (أعمال الرسل، الإصحاح2، 5-10).

"فنهض قوم من المجمع الذي يقال لـه مجمع الليبرتينيين والقورانيين " (أعمال الرسل، الإصحاح6، 9).

فالقيروان المدينة التي ينتسب إليها سمعان هي قورينة التي ترد في عدة كتابات بأشكال متغيرة لكن المدلول واحد هو قورينة الليبية ، وكانت وقتئذ خاضعة للرومان، وسكنها كثير من اليهود، وكان كثير منهم أول المبشرين المسيحيين، والغالب أن تواجد سمعان في أورشليم للاحتفال بعيد الفصح ، وأتى مرقس على ذكر ابنيه اسكندروس وروفس، ويقال أنه بعد حادثة حمل الصليب آمن بالمسيح، وأصبحت عائلته معروفة في أوساط المسيحيين (صموئيل، د. س ، صفحة 28).

من خلال ما تقدم عرضه من فقرات من الإنجيل يتبين بوضوح تأكيده على دور يهود قورينة في نشر المسيحية والتحول من اليهودية إلى النصرانية، ومن ثمة نشر الدين الجديد في تجمعاتهم عند العودة إلى موطنهم ، وفيهم من حمل دعوته إلى خارج موطنه مثل انطاكيا، حيث عرفت كنيسة أنطاكيا أسماء لأشخاص من قورينة وهم برنابا، سمعان، ولوكيوس القوريني، وهذا الأخير يعتقد أنه من أدخل المسيحية إلى المنطقة المغاربية (عمران،2010-2011،ص81).

3-2 - تأثير المسيحية في عموم بلاد المغرب وموقف السلطة الرومانية:

أشار ترتليانوس إلى العوامل التي ساهمت في انتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم، أولها تعاليم الديانة المسيحية التي تلغي الفوارق الإجتماعية بين الناس، والدعوة إلى العدل والإخاء والمساواة، وهي أهم المبادئ التي جذبت سكان بلاد المغرب إلى الديانة الجديدة .

شهدت المنطقة المغاربية بعد الاستيلاء الروماني عليها أوضاعا اقتصادية حرجة جراء استحواذ الرومان على جل الأراضي الزراعية الخصبة بعد أن جرّدت سكانها من أراضيهم

الخصبة وأبعدتهم إلى الجبال والصحاري، ولم تترك لهم إلا النزر اليسير من الأراضي الخصبة وبموجب مبدأ الاستفادة (Possessio) والانتفاع (Usufruetus) تقوم بتأجيرها لهم بعد حرمانهم من حقوق الملكية، ويعود سبب تأجيرها للأراضي الزراعية أولا لعدم وجود مواطنين رومان يستغلون أراضي المراعي المستصلحة في غراسة أشجار الزيتون، ثم لرفع إنتاج المحاصيل الزراعية بدل بقاء الأرض دون استغلال، وأخيرا لدفع المستغلين الفلاحين الصغار لضريبة حق الانتفاع (شنيتي، 2003، صفحة 172)، أما كبار الملاك من الرومان والمترومنين فقد استخدموا المغاربة القدامى كأجراء ومسخرين وحتى عبيداً لخدمة ضياعهم وأراضيهم ، كما أرهقت الضرائب الرومانية المتنوعة المغاربي القديم، ضريبة العشر وهي التي يدفعها المغاربي القديم من أجل استصلاح الأراضي لاستغلالها في العمل الزراعي أو لاستخدامها كمراعي للماشية، وإما تكون ضريبة عينية العشر من محصول القمح أو الخمس من محصول الفواكه، رغم قلة خصوبة هذه الأراضي لكن روما منت عليه بها حتى توهمه بسخائها وتكسب تأييده باستغلال حاجته لممارسة أي نشاط اقتصادي يكفل له الحياة، وقد حققت الإدارة الرومانية أرباحا طائلة من هذه الضرائب التي تصل إلى الثلث في بعض المنتجات كالزيت، الخمر والحبوب (بشاري، 2015، صفحة 223). بالإضافة إلى عدم استجابة الآلهة والمعتقدات المحلية والوافدة إلى الاحتياجات الروحية لشعوب بلاد المغرب القديم ومنها عبادة الإمبراطور، لذلك رأوا في المسيحية المخلص من كل الظروف المتردية التي يعيشها السواد الأعظم من الناس، وهذا لا يعني أن اعتناق الديانة المسيحية يقتصر على الطبقات الكادحة في المجتمع المغاربي ، بل تجاوزه لكل الطبقات بما فيها الطبقة العليا من المجتمع (عولمي، 2015–2016، صفحة 240).

لذلك لاقت المسيحية رواجا كبيرا في مختلف مقاطعات المنطقة المغاربية خاصة المدن الكبرى، وإن كانت قرطاجة من أولى المقاطعات التي استفحلت فيها المسيحية التي نشأت في البيع اليهودية، حيث عثر على نقوش تدل على ديانة معتنقيها، وهم المسيحيين الأوائل في المقابر اليهودية في تقمرت شمال غرب قرطاجة، حيث كانت تدل صيغة (IN PACE) على أن القبر مشترك بين يهود ومسيحيين (Delattre, 1895, p. 35) كما عُثِر على مقبرة في حضرموت (سوسة) جنوب قرطاجة تعود إلى منتصف القرن الثاني 150م. وفي أواخر القرن الثاني أنشئت أول كنيسة مسيحية في لبتيس ماغنا، وما أن انتصف القرن الثالث حتى بلغ عدد الأساقفة في البروقنصلية سبعة وثمانون أسقفا وفق ما ورد في مجمع سبتمبر 256 م بقرطاجة، وكثيرة هي البقايا المادية التي تؤرخ للكنائس المسيحية في محيط البروقنصلية ففي حضرموت بقايا كنيسة تسمى بوليكارب (Bolycarbe)، وعثر في أماديرا (Ammeadera) على نصب يضم قوائم للشهداء المسيحيين الذين قتلوا في اضطهادات دقليديانوس سنة 303م (عمران، 2010–2011، صفحة 144).

أما طرابلس المنطقة التي تتميز بطابعها الصحراوي القاسي وتمرد القبائل الليبية بها مثل قبائل الأوستيريانس (Asturiens) ، لذلك ركزت سلطة الإحتلال الروماني ثقلها العسكري في المنطقة خوفا من تمرد سكانها(Cagnat, 1892, p. 47) ، لذلك فتاريخ انتشار المسيحية غامض فيها، غير أن القديس كبريانوس يشير إلى أساقفة صبراتة وأويا في مجمع 258 م، أما بول مونصو فيرى أن أوائل الأساقفة في المنطقة كان معاصرا لترتيليانوس (عمران، 2010–2011، صفحة 153).

وقد عثرت الأبحاث الأثرية على بقايا لكنائس مسيحية في الشرق النوميدي بنواحي الوادي الكبير (Ampsaga) في كيرتا (Cirta) ،ميلاف (Mileve) و كويكول،وعلى وادي

المالق بتيفاست (Teveste) ، وإلى الجنوب عثر على سبع أبرشيات في لومبيز، ماسكولا، تاموقادي، طبنة لمسابا وباديس ، بمعنى آخر انتشرت المسيحية في منطقة الأوراس بصفة عامة فلا يكاد تخلو مدينة من كنيسة أو أبرشية .وخاصة في المدن العسكرية مثل تاموقادي ، لومبيز والتي يمثل وجود كنائس فيها في بداية انتشار المسيحية تحد صريح للسلطة الزمنية الرافضة لهذه الديانة، وفي نهاية القرن الثالث انتشرت المسيحية في كالاما التي يحتمل وجود أسقف معاصر لكبريانوس فيها، تاغاست (Thagaste)، وحسب عبد الحميد عمران نقلا عن ميناج أن عدد أساقفة نوميديا بلغ أربعة وثلاثين أسقفا في نوميدا، منهم ثلاثة وعشرون أسقفا مذكورا في مجمع 256م؛ ليترفع عدد أساقفة نوميديا إلى سبعين أسقفا في 312م. (عمران، 2010-2011، الصفحات 158-159).

وفي موريطانيا السطايفية التي تمتد من نهر أمساقا إلى مرتفعات جبال البيبان غربا، وهي منطقة ذات خصوصية عسكرية واقتصادية عرفت بتمرد سكانها ضد الاحتلال الروماني، بالإضافة إلى نشاطها الزراعي وحركة التجارة والنقل التي جعلت من المنطقة همزة وصل بين الجنوب والشمال. فإن المسيحية دخلت للمنطقة حوالي الثلث الأول من القرن الثالث، حيث عثر على نقيشتين مؤرختين بـ 225م و 228م، كما عثر على نقيشة تحمل ذكرى سقوط شهداء في جنوب شرق سطيف في بير حدادة (عمران، 2010-2011، الصفحات 163-164).

وكلما اتجهنا غربا تصبح المعلومات حول انتشار المسيحية أكثر غموضا، ففي موريطانيا القيصرية التي تمتد من جبل البيبان إلى نهر الملوية غربا ، وما عثر عليه من بقايا مادية تؤرخ للانتشار المسيحي في تيبازة (Tipaza) وأيول (Aol) يعود إلى القرن الثالث، كما يغيب أساقفة موريطانيا القيصرية عن مجمع 256م، كما يشير كبريانوس إلى اضطهاد مسيحي في المقاطعة من طرف السلطات الرومانية (عمران، 2010-2011، صفحة 175).

أما أقدم النقوش المسيحية فقد وجد في أوزيا ويؤرخ للفترة مابين 169و300م، وعن أقدم قبر مسيحي يعود إلى سنة 238م، ولم تنتشر المسيحية بشكل واسع إلا مع القرن الرابع في تيبازو، حيث توجد مقبرة مسيحية تعود إلى القرن الرابع، ونقائش تحمل أسماء شهداء مثل اسم فيكتورنيوس، وترجع إلى الفترة مابين 315 و320م (عمران، 2010-2011، صفحة 176) .

وكذلك الحال بالنسبة لموريطانيا الطنجية التي ارتبطت باسبانيا منذ فترة حكم دقليديانوس في 297م ، فلم يرد ذكرها في مجمعات أساقفة بلاد المغرب القديم عنها، لكن المعطيات التاريخية تدلل على أن أول الشهداء الذين سقطوا من المسيحيين في المنطقة يعود إلى عهد دقليديانوس وهو مارسليوس، وكان جندياً في صفوف الجيش الروماني رفض تقديم طقوس الطاعة والولاء أثناء الاحتفال بعبادة الإمبراطور، حيث رمى سلاحه وقال عبارته الشهيرة " أنا أؤمن بالمسيح وبالملك الأزلي"، فحكم عليه بالإعدام في 398م (بن عطاالله، 2016، صفحة 144)، كما كان كاسيانوس موظفا في المحكمة التي أعدمت مارسيليوس وثارت ثائرته ضد الحكم بالإعدام في حق مارسيلوس، وقام برمي عدته لوحته وأقلامه، فاتهم بالتعاطف مع المسيحيين، وأعدم كذلك في نفس السنة (عمران، 2010-2011، صفحة 188).

من خلال المعالم الأثرية والتاريخية من نقوش إهدائية للشهداء المسيحيين، أو البقايا المادية للكنائس والأبرشيات في المدن والحواضر الكبرى، خاصة في الشرق في البروقنصلية والشرق النوميدي، وفي كل الأوساط الإجتماعية وحتى في الدوائر الحكومية في الجيش وبين موظفي سلطة الإحتلال.

أما القبائل المحلية الخارجة عن السيطرة الرومانية في الجبال والسهوب وأطراف الصحاري، والتي لم تحتك بالرومان ظلت فقد على ديانتها الوثنية، مثل: قبائل الحلف الخماسي (Les Quinquegentanei) التي عرفت بعدائها لكل ما هو روماني، وحسب النقوش مجال

إقامتها من موريطانيا القيصرية في جبال جرجرة الحالية في نهاية القرن الثاني ميلادي، حسب ما جاء في نقيشة بوجي، حيث اختار الحاكم ليتوا (Litua) حاكم موريطانيا القيصرية أن يقيم نصبا تذكاريا يخلد فيه انتصاره ضد الحلف الخماسي في صلداي الواقعة على بعد ثمانين مرحلة عن عاصمة المقاطعة(Creuly, 1861, pp. 53-56) ، كذا الأمر بالنسبة لقبائل البافار أو البوار (Bavars) التي ذكرت أول مرة في عهد الإسكندر سيفروس (Alexandre Sévère) (222–235م)، ويحدد هونوريوس (Honourius) نهر ملوية كحد فاصل بين قبائل البافار وقبائل البكوات (Baquates)، كما يشير إليهم في الأطلس المتوسط في المغرب الأقصى الحالي، أما أميان مارسلين (Ammien Marcelin) فيشير إليهم في موريطانيا القيصرية بالقرب من جبال الظهرة والونشريس بالجزائر الحالية، وتذكر النقوش الجنائزية البافار في أربال ووهران، وتعود إلى سنتي 366و496م، وتؤكد على وجود البافار في المنطقة، بالإضافة إلى تواجدهم في مليانة في سفوج جبال زكار (Zeccar)، حيث يكرس حاكم موريطانيا القيصرية ايليوس ايلينوس (Aelius Aelinnus) نصبا يخلد انتصاره على البافار في المنطقة، حيث تمكن من مصادرة ممتلكاتهم وأسر عائلاتهم، ويعود النصب إلى فترة حكم دقليديانوس(Camps, 1991, p. 1394) ، وحتى لما حدث التحالف بين القبائل المحلية مثل فيرموس (Firmus) ثم شقيقه جلدون (Gildon) ورجال الدين المسيحيين الدوناتيين، فحسب المصادر التي لم تذكر صراحة تخلي الزعيمين عن ديانتهما الوثنية في الوقت الذي حدث فيه التقارب بينهما وبين الدوناتيين، ويضيف إيف موديران (yves Modéron) أنه رغم ذلك حمى الكنيسة الدوناتية واسقفها أبتا الميلي (Optat de Miléve)، لكنه لم يكن على المسيحية، بل هو فقط جعل نفسه رئيسا على كل الزعامات المحلية التي تقف ضد الاحتلال في المنطقة (Modéran، 1989، صفحة 823).

خاتمة:

من خلال ما تقدم حول البحر الليبي بوابة من بوابات انتشار اليهودية والمسيحية نتوصل إلى النتائج التالية:

– رغم الفرضيات التي يروج لها بعض المؤرخين ذوي الأصول اليهودية، فإن الحديث عن الوجود اليهودي المؤسس بأدلة مادية وأدبية لا يتجاوز أواخر القرن الرابع، حيث جلبهم البطالمة لتعزيز هيمنتهم على الإقليم البرقي من خلال خدمتهم في الحاميات والجيش البطلمي، فكان قدومهم إلى المنطقة ذو أهداف سياسية وعسكرية.

– تمتع اليهود بكافة الحقوق والحريات الدينية والاقتصادية في ظل التسامح الديني والثقافي الذي ميز العهد البطلمي ، لذلك تمركز ت الجاليات اليهودية في الإقليم البرقي: طلميثة، توكرة ، برينيكى وقورينة ، فيمكن القول بوجود امتزاج ديني وثقافي بين اليهود والإغريق والسكان المحليين، يتجلى من خلال الأسماء المركبة آمونيوس، وهيراكليوس، لكن الحضور اليهودي ظل محدودا ومنعزلا عن باقي المجموعات البشرية في بلاد المغرب القديم، ولم تتجاوز التأثيرات اليهودية في عصر البطالمة الإقليم البرقي، وذلك بسبب غموض الديانة اليهودية وصرامة تعاليمها.

– أما في العهد الروماني ونتيجة للثورات وأعمال الاحتجاج التي قام بها اليهود ليس في الإقليم البرقي فقط بل في كل الإمبراطورية فقد اليهود مكانتهم التي تميزوا بها في العصر البطلمي، بل تعرضوا للشتات مرة أخرى؛ لذلك سنراهم ينتشرون في بلاد المغرب القديم، خاصة في المدن الساحلية، لكن الديانة اليهودية ظلت في كنف الرومان وتلونت بصبغة الرومنة أكثر من أي صبغة أخرى، كما تقرب اليهود من السكان المحليين في الجبال والأرياف؛ بغرض إيجاد

حلف ضد الرومان، وقد وجدوا ضالتهم في القبائل المناهضة للوجود الروماني، لكن ورغم ذلك لم تتهود إلا بعض العناصر من كل قبيلة.

– بالنسبة لانتشار المسيحية فهو بدوره لا يعرف التاريخ الحقيقي له، إذ حددت بداية الاضطهادات سنة 180م كمعلم لتاريخ انتشار المسيحية ، لكن من المؤكد أن برقة هي إحدى بوابات دخول المسيحية لبلاد المغرب القديم، وقد ذكرت المصادر الأدبية والأناجيل أعلام قورينية ساهمت في التاريخ البدئي للمسيحية، مثل: سمعان القوريني ومرقس. وعلى عكس اليهودية كان الانتشار بهدف إنساني وديني محض لم تتدخل السلطة في توجيهه.

عرفت المسيحية انتشارا واسعا في بلاد المغرب القديم على عكس اليهودية التي ظلت في دائرة ضيقة، وذلك مرده إلى مبادئ المسيحية الموجهة لكل الإنسانية، والرامية إلى تحقيق العدالة والإخاء بين الأفراد على اختلاف أعراقهم وطبقاتهم، وحتى وإن ظلت في المنطقة ذات الهيمنة الرومانية، وعزفت عنها القبائل الأهلية المعادية للسلطة الرومانية، لكن زعامات هذه القبائل وقفوا في صفوف تحالفت مع المسيحيين المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية كنيسة السلطة الرومانية.

قائمة المصادر والمراجع :

1. Abraham, C. (1867). *Les Juifs dans L'Afrique Septentrionale.* Constantine: Typographie etLithographie L. Arnolt.
2. Casius, D. (1867, Liv LXVI, 7). *Histoire Romaine.* Paris: Librairie de Firmin Didot Frere et Fils.
3. Casius, D. (1867, Liv LXVIII,32.). *Histoire Romaine.* Paris: Librairie de Firmin Didot Frere et Fils .

4. Creuly, I. g. (1861). Les Quinquégentiens et Les Babares Anciens Peuples D'afrique. *Revue Archéologique* , pp. 51-58.
5. Eusébe, d. C. (1913, Liv IV, II). *Histoire Ecclsiastique.* Paris: Euguste Picard Editeur.
6. G. Camps .(1991) .Bavares (Babares- Bavares .(*Encyclopédie berbère* الصفحات ، .1399-1394
7. Heller-Goldenberg, L. (2004). Le temps de la mémoire des Juifs du Maghreb : l'émergence d'une littérature de la modernité. *Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire* , pp. 75-84.
8. J.M. Lassèr .(2004) .Judaïsme (Dans L'antiquité .(*Encyclopédie berbère* الصفحات ، .3951-3939
9. Jerome, S. (1838, Traite sur Les Juifs, CXXIX,4). *Ad Dardamun de Terra Promission.* Paris: Auguste Desrez Imprimeur Editeur.
10. Joséphe, F. (1900,Liv II, II et Liv XII, 1,2). *Antiquites Judaiques,.* Paris: Ernest Leroux, éditeur.
11. Joséphus, F. (1702, Liv XVI, X). *Antiquites Judaiques.* Bruxelles: Eugene Henry Fricx Imprimeur.
12. Joséphus, F. (1900, Liv VII, XI). *Gurres des Juifs.* http://remacle.org/bloodwolf/historiens/Flajose/guerre7.htm.
13. Lancel, S. (1994). Christianisme(Afrique Antique). *Encyclopédie berbère* , pp. 1942-1951.
14. Le. R. P. Delattre .(1895) .*Gamart ou La Nécropole Juive de Carthage* .Lyon: Imprimerie Mougine Rusand.

15. Marcel Simon .(1946) .Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne .*Revue d'Histoire et de Philosophie religieuses*.31-1 الصفحات ،

16. René Cagnat .(1892) .*L'Armée Romaine d' Afrique et L'Occupation Militaire de L'Afrique Sous Les Empreures* .Paris: Impremerie Nationale.

17. Simon, M. (1946). Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne. *Revue d'Histoire et de Philosophie religieuses* , pp. 1-31.

18. (1844, Vie de Septime Sévère,XVII). HISTOIRE AUGUSTE. Dans A. SPARTIANUS, *Vie de Septime Sévère,XVII.* Paris: C. L. F Panckoucke Edireur.

19. Tertullien ,1914) .XXXVII, 4 .(*Apologétique* .Paris: LIBRAIRIE BLOUD ET GAY.

20. Yves Modéran .(1989) .Gildon, les Maures et l'Afrique .*Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité*.872-821 الصفحات ،

21. االطيب محمدحمادي. (1993). *اليهود ودورهم في الإستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة*. بن غازي: منشورات جامعة قاريونس.

22. أعمال الرسل . تأليف *الكتاب المقدس - العهد الجديد-* . موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت https://st-takla.org/pub_newtest/44_acts.html.

23. أعمال الرسل، الإصحاح2، 10-43. تأليف *الكتاب المقدس - العهد الجديد-* . كنيسة الأنباء تكلا هيمانوت https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=54&chapter=2.

24. أعمال الرسل، الإصحاح2، 5-10. تأليف *الكتاب المقدس - العهد الجديد-*. موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت على https://st-takla.org/pub_newtest/44_acts.html.

25. أعمال الرسل، الإصحاح6، 9. تأليف *الكتاب المقدس- العهد الجديد-*. كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت https://st-takla.org/pub_newtest/44_acts.html.

26. الربيع عولمي. (2015-2016). *المسيحية في بلاد المغرب وورها في أحداث القرنين الرابع والخامس ميلاديين*. باتنة: جامعة باتنة.

27. *العهد القديم*. (سفر التثنية، الإصحاح 8). كنيسة الأنبا هيمانوت -https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books/05-Deuteronomy/Sefr-Al-Tathneya-Chapter-23.html.

28. القيصري يوسابيوس. (1999). *تاريخ الكنيسة*. القاهرة: مكتبة المحبة.

29. القيصري يوسابيوس. (1999). *تاريخ الكنيسة*. القاهرة: مكتبة المحبة.

30. حاييم الزعفراني. (1987). *ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ، ثقافة، فن* . الدار البيضاء: دار قرطبة.

31. رباب عادل حسن صالح. (2010). القديس مرقس مؤسس الكنيسة القبطية . *المجلة المصرية للدراسات السياحية* ، الصفحات 72-106.

32. روني باصي. (2012). *أبحاث في دين البربر* . د. م : مطبعة النجاح الجديدة.

33. سعيد محمد غريدة. (2020). المسيحية والصراع المذهبي المسيحي بإقليم برقة في العصر الوسيط. *المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية* ، الصفحات 189-208.

34. سفر الملوك الأول ، 9. تأليف *العهد القديم*. كنيسة الأنباء تكلا هيمانوت ، -https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=11&chapter=9.

35. العهد القديم. تأليف سفر سفر أشعيا،66. كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت -https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books/27-Isaiah/Sefr-Ash3eya-Chapter-66.html.

36. عبد الحميد عمران. (2010-2011). *الديانة المسيحية في المغرب القديم- النشأة والتطور180-430م- اطروحة دكتوراة-* . قسنطينة: جامعة منتوري.

37. عبد الرحمن ابن خلدون. (2004). *ديوان المبتدأ والخبر* .. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

38. عبد الرحمن ابن خلدون. (2000). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

39. عبد الرحمن بن بن عطاالله. (2016). انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا خلال الاحتلال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها. *مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية* ، الصفحات 139-146.

40. عطا أبورية. (2005). *اليهود في ليبيا وتونس والجزائر*. القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع.

41. فريز صموئيل. (د. س). *من هو المصلوب*. الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل.

42. محمد أبوزهرة. (د. ت. ن). *محاضرات في المسيحية*. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

43. محمد البشير شنيتي. (2003). *أضواء على تاريخ الجزائر القديم – بحوث ودراسات–* . الجزائر: دار الحكمة.

44. محمد الحبيب بشاري. (2015). *روما وزراعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق.م و285م*. قسنطينة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

45. مصطفى كمال عبدالعليم. (1966). *تاريخ ليبيا القديم*. بنغازي: المطبعة الأهلية.